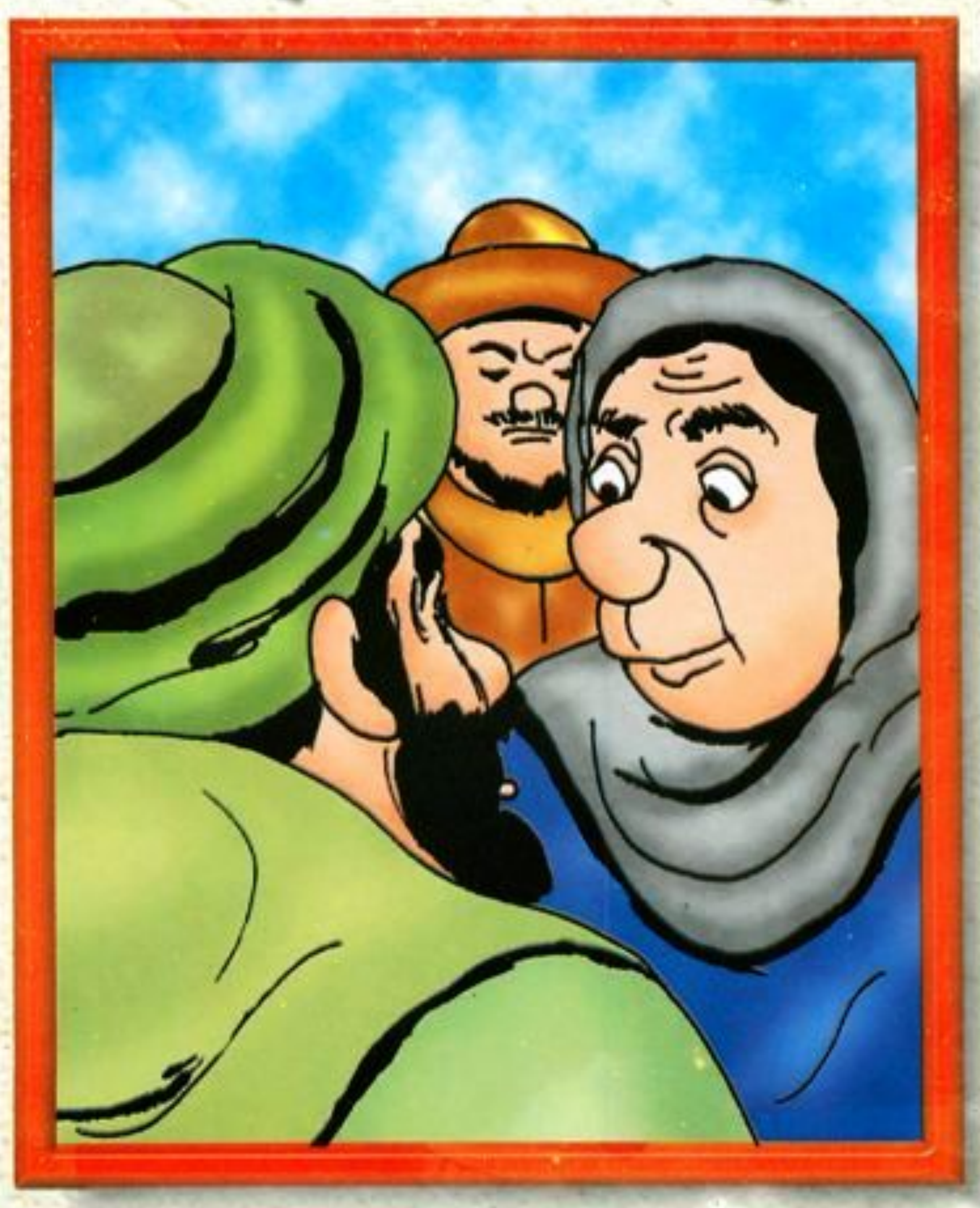
من أسماء الله الحسنى — المقسط

المرأة المظلومة



مادة ورسوم
شوقى حسن

الناشر
مكتبة مصر
شارع كامل صدقي - الفجالة

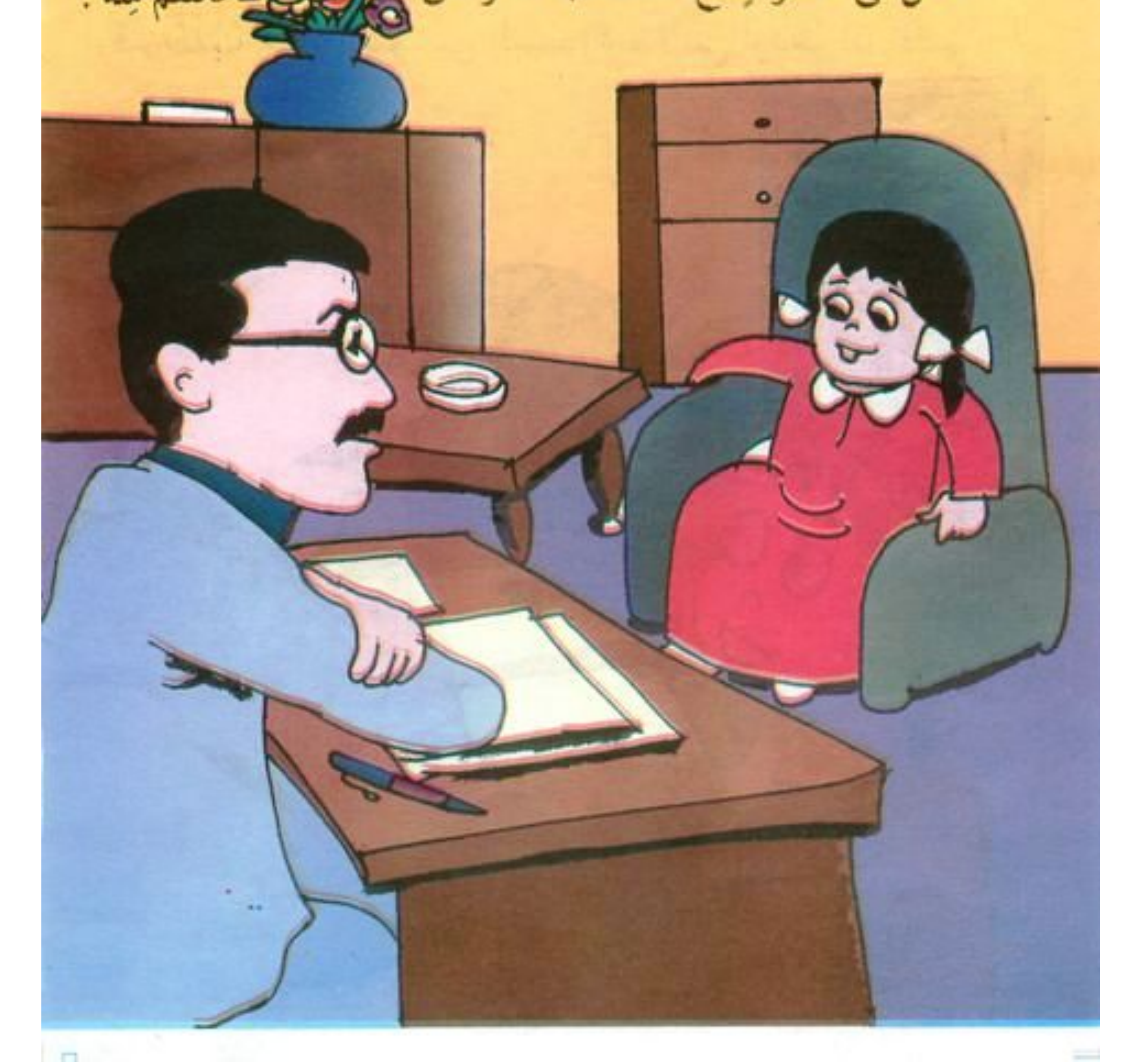
(١) دَخلتْ حنانُ حُجرةَ والِدِها بعد أن طرقتِ البابَ وأعطاها الإذنَ بالدُّخول . فوجَدتْه يَجلس إلى مكتَبه ، يُراجعَ بعضَ أوراقِه ، فقالت : أراكَ يا والِدى مَشغولا ، فسأعودُ إليكَ بعدَ قليل . . قالَ لَها مُبتَسِما ، وهو يَتُركُ أوْراقَهُ من يَدِه : تقدَّمى يا حَنان ، لقد فَرَغتُ مما يَشغَلُنى .



(٢) قالَت وهى تُقدِّمُ إليه قُصاصَةً من الوَرَق : أرجو يا والِدى أنْ تَشرحَ لى هذا الاسْم . . فنَظرَ إلَى الوَرقةِ وقالَ : هذا اسمُ المُقسِط ، وهو من أَسماءِ اللّهِ الحُسنَى . . ولكن ما الحِكايَةُ يا ابنتى ؟ فابْتَسمتْ حنانُ وقالتْ : كان درسُ اليَوم فى حصَّةِ التَّربيَةِ الدِّينيَّة ، عن أسْماءِ اللّهِ الحُسنَى ، وقد نَقَلْتُ هذا الاسْمَ من السَّبّورَة ، لأنِّى أردتُ أن أفهَمَ مَعناه .



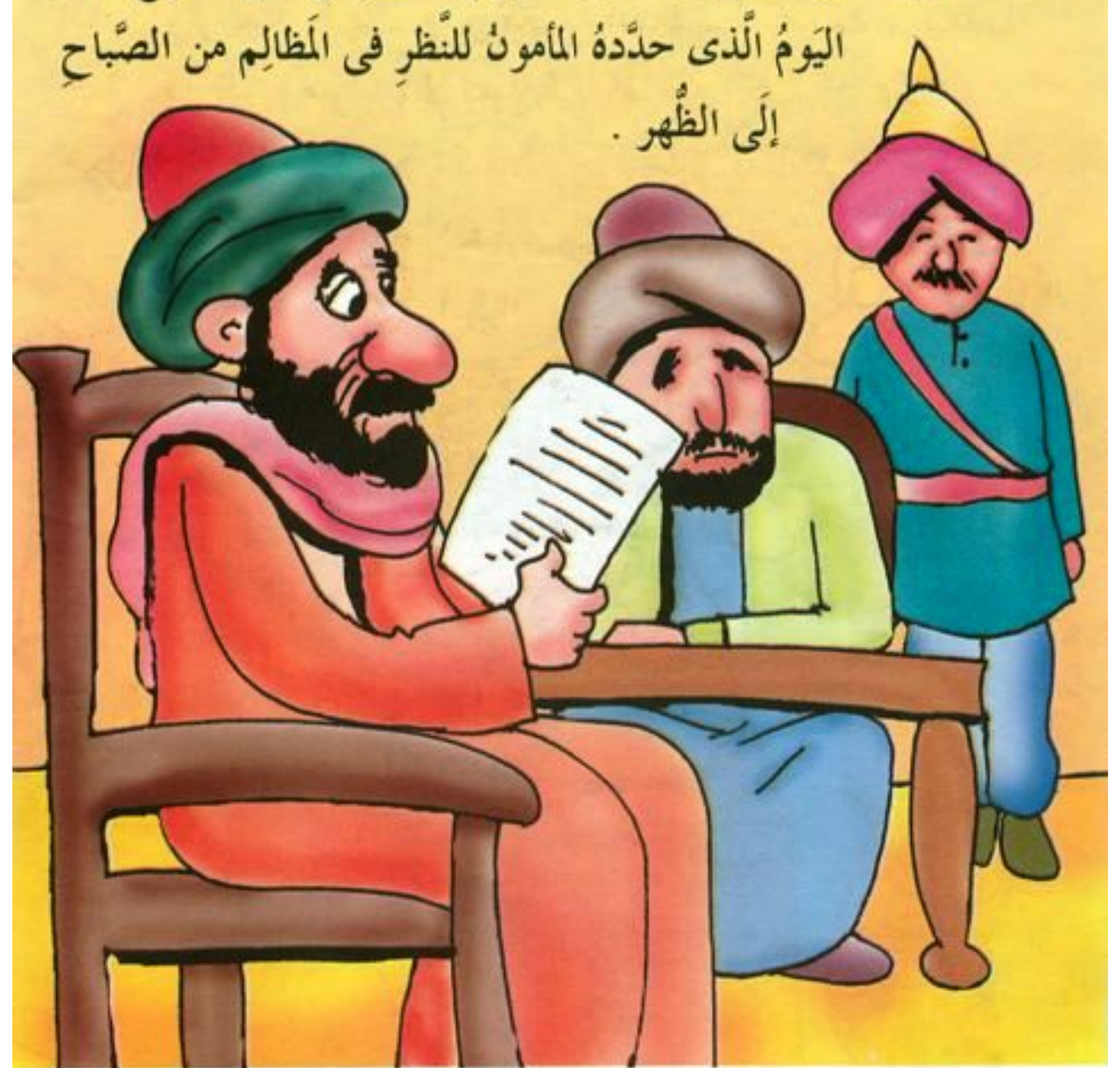
(٣) قالَ والِدُها : اجْلِسي يا حَنان . أنا أُشَجِّعُكِ لِحُبِّكِ الفَهمَ والعِلم ، والسَّعيَ لِلمَعرفَة . . واسمُ المُقسِط مَعْناهُ العادِل . وعدلُ اللّهِ سُبحانَه وتَعالى فوقَ كُلِّ عَدْل ، فمن أسْماء المُقسِط ، أنَّ اللّهَ سُبحانَهُ وتعالَى الّذى خلقَ خَلقَهُ جَميعا ، يَعدلُ بينَ خَلقِهِ جَميعا . وهو الوَكيلُ عن كُلِّ خَلقِه ، حتّى إذا ظلمَ إنسانٌ إنسانا ، دخلَ فى خُصومَةٍ مع اللّه ـ سُبحانَه وتَعالى ـ فانتَقمَ مِنه .



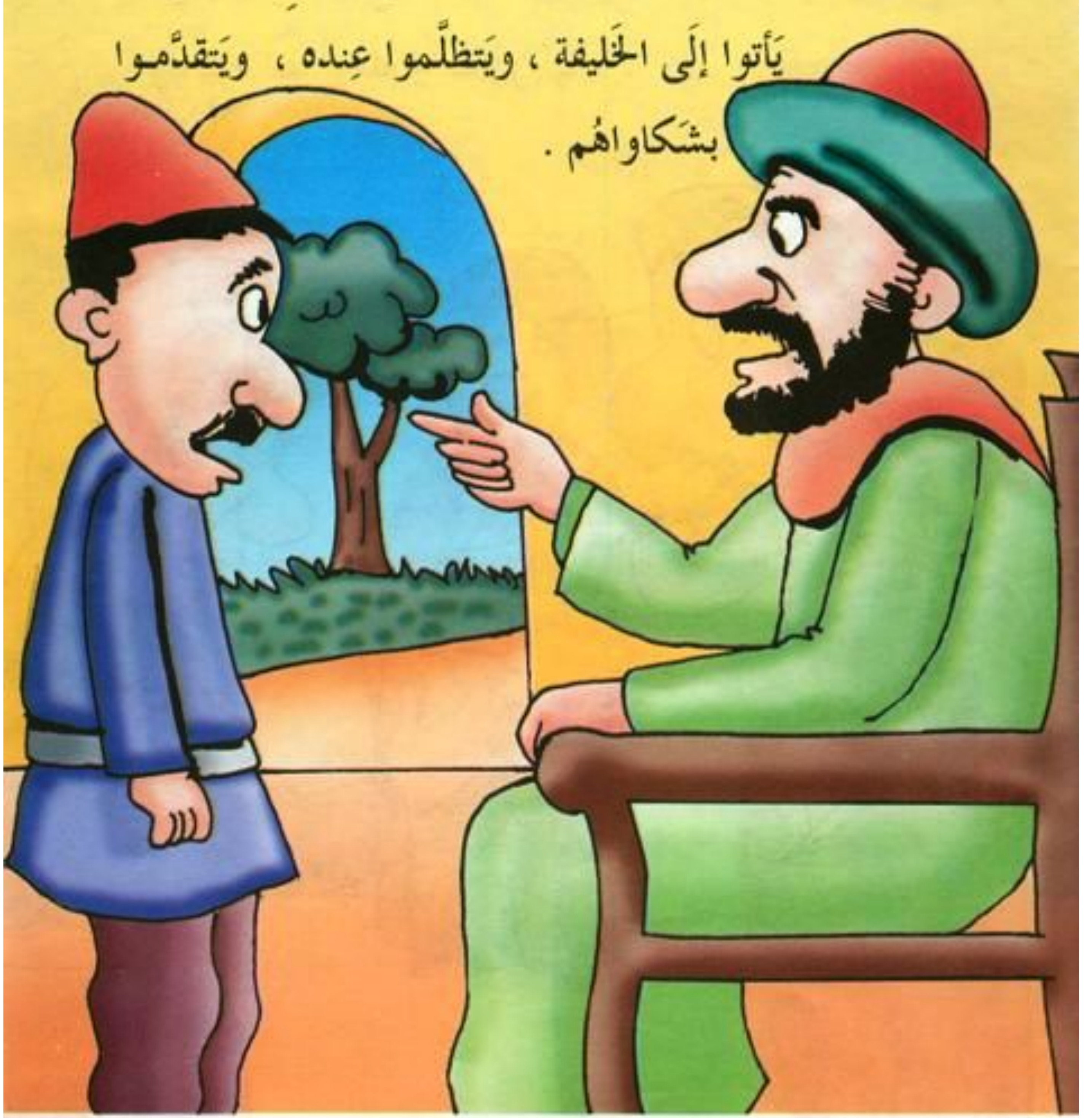
(٤) وإذا سَرقَ إنْسانٌ مالَ إنْسانَ آخر ، دخلَ فى خُصومَـةِ مع اللَّه ، فعاقَبه اللَّه . . إن اللَّهَ ـ سُبحانَه وتَعـالَى ـ يُعطى كلَّ ذى حقٍّ حقَّه . ومن مَعانى اسْمِ المُقسِط ، أنَّ اللَّهَ يُريـدُ لِلحقِّ أن يَنتَصِر ، ولِلباطِلِ أن ينهَزِم ، لأنَّه ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ هو الحقّ . ولذلِكَ ما من مَعرَكَةٍ بينَ الحقِّ والباطِل ، إلاَّ هُزِم فيهـا الباطِلُ ولو بعـدَ حـين . ومـن مَعـانى المُقسِط كذلـك ، أنَّـه جعلَ لكلِّ شىء ميزانا ، لا تَميلُ فيه كِفَّةٌ عن كِفَّـة . . فكمـا جعلَ البائعَ يَتقاضَى الثَّمنَ كامِلا ، حرَّمِ عَليه أن يأخُذَ من حقِّ المُشتَرى شَيئا ، بأن يُنقِصَ المِكيالَ والميزان .



(٥) وطلبَ مِنّا ـ سُبحانَهُ وتَعالَى ـ أن نَعدِلَ فى كلِّ شَـىء ، فلا يُحابى إنسانٌ إنسانا ، حتّى ولو كانَ أقـربَ النّـاسِ إلَيـه . فالعَدلُ أقربُ للتّقوَى . حَدثَ يَومـا أن كـانَ الخَليفَـةُ المَأمونُ يَجلِس ـ كعادَةِ الخُلفاءِ العادِلين ـ للنّظر فـى مَظـالِمِ النّـاس ، وإنْصافِ المظلومين . . وكان يومُ الجُمُعةِ من كلِّ أُسبوع ، هو اليَومُ الّذى حدّدهُ المأمونُ للنّظرِ فى المَظالِم من الصّباحِ إلَى الظُّهر .



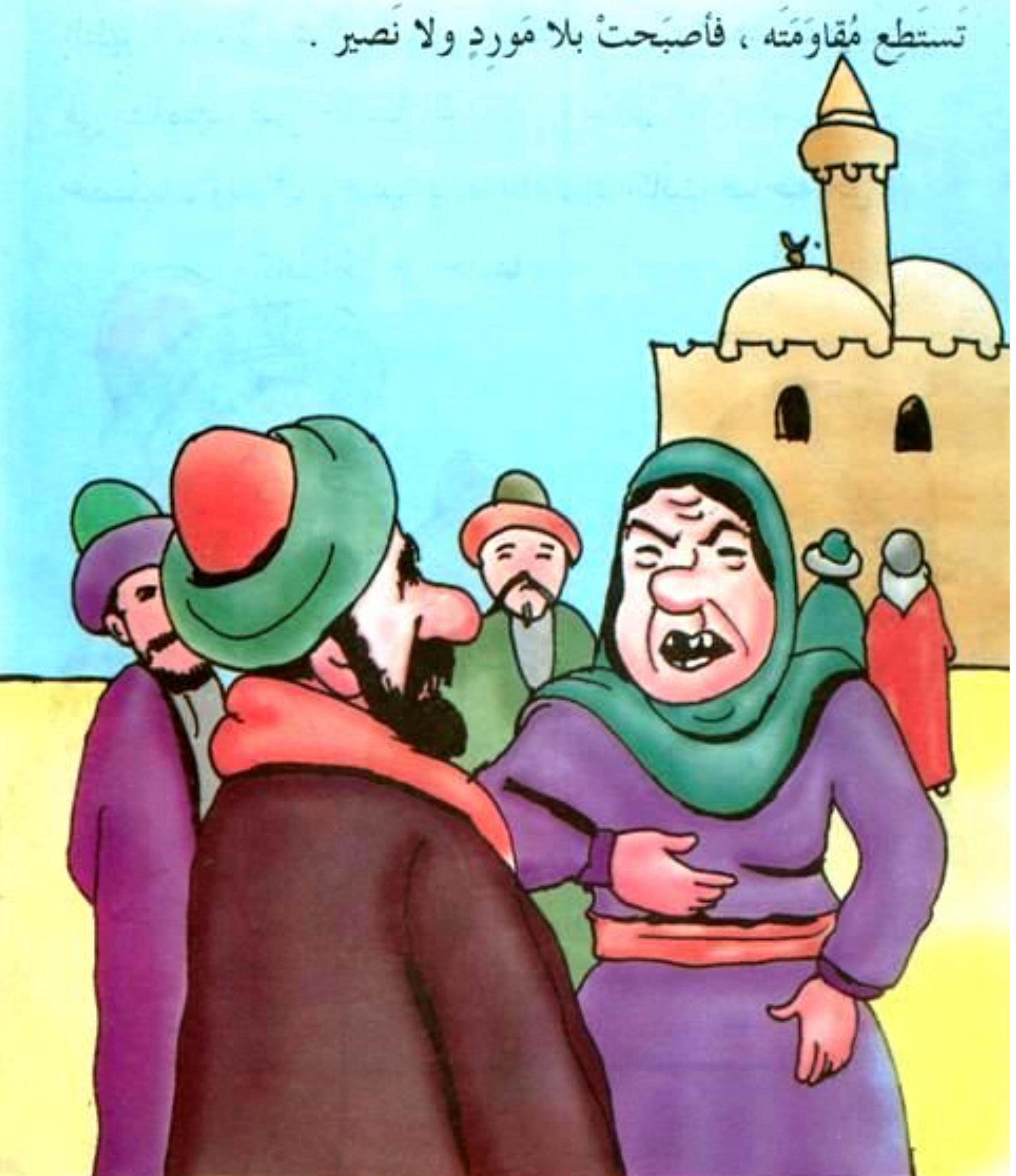
(٦) وقد عرفَ النّاسُ ذلك فكانَ الّذى يَقعُ عليه ظُلم ، ولا يَستطيعُ أن يأخُذَ حقّه ، مِثلَ المُواطنِ الّذى يَظلِمُه مُوظّفُ الحُكومَة ، أو الفَقيرِ الّذى يَسلُبُه الغَنِىُّ مالَه ، أو الضّعيفِ الّذى يَعتَدى عليه من هو أقْوَى مِنه . . كلُّ هَؤلاءِ يُمكنُ أن يَأتوا إلَى الخَليفة ، ويَتظلّموا عِنده ، ويَتقدَّموا بشَكاواهُم .



(٧) وفى يَومٍ جلسَ المأمونُ للنّظرِ فى المظالِم ، منَ الصّباحِ الباكِرِ حتّى إذا سَمِعَ أذانُ الظُّهر ، نهضَ لِلصّلاة ، وتوجَّهَ نحوَ المَسجد . فلَقِيَتهُ امرأَةٌ فى ثِيابٍ قَديمَةٍ رَثّة ، وقالتْ أبياتًا من الشّعر ، تمدَحُ الخَليفَة، وحبّهُ للعَدل ، وكَراهِيَته لِلظُّلم ، وتُخبِرُه أنّها أرمَلَةٌ ماتَ زَوجُها . .



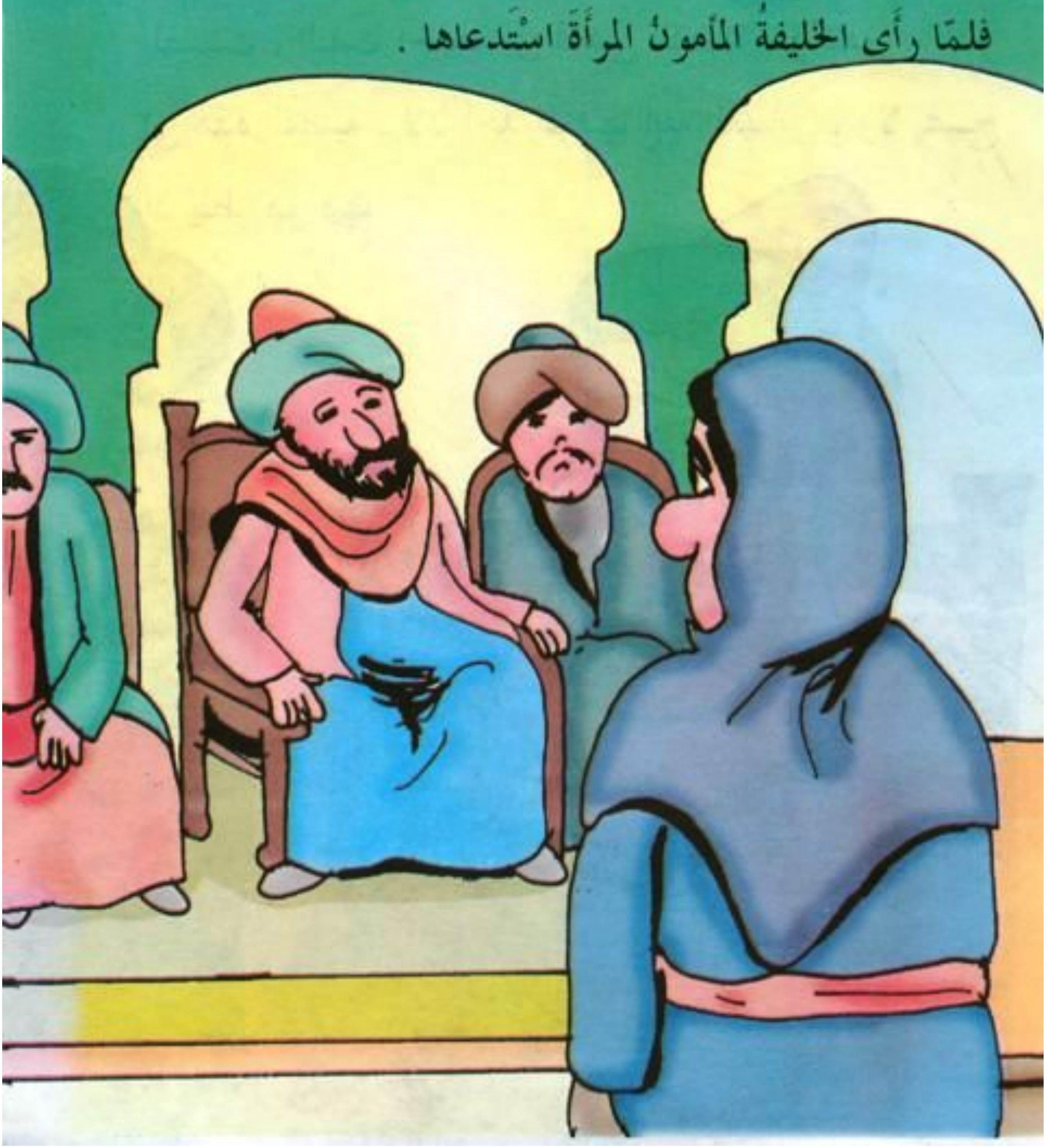
(٨) وأنّها ضَعيفَةٌ بعدَ أن ماتَ أبْناؤها ، وفقيرةٌ لم تعـد تَملِـكُ إلاّ ضَيعَة ، وقد استَولَى رَجـلٌ قَـوِيٌّ علَـى هـذه الضَّيعَـة ، ولم تَستَطِع مُقاوَمَته ، فأصبَحتْ بلا موردٍ ولا نَصير .



(٩) فأطرقَ المأمونُ قليلا ، ثمَّ رفعَ رأسَه وردَّ على شِعرِها بمِثلِه . وأخبرَها أنَّه تأثَّرَ بكَلامِها ، ولكنَّه ذاهبٌ إلى صلاةِ الظُّهر ، بعدَ يومٍ شاقٍّ حافِلٍ بالمَتاعِب ، ووَعدَها أن يَنظرَ في مَظلَمتِها في الجَلسةِ القادِمَة . وسألَها أن تُحضرَ معها خصمَها ، وسوفَ يُنصِفُها بإذن اللَّه ، إن كانَت صاحِبَةَ حقٍّ ، وكانَ الحقُّ في جانبِها .



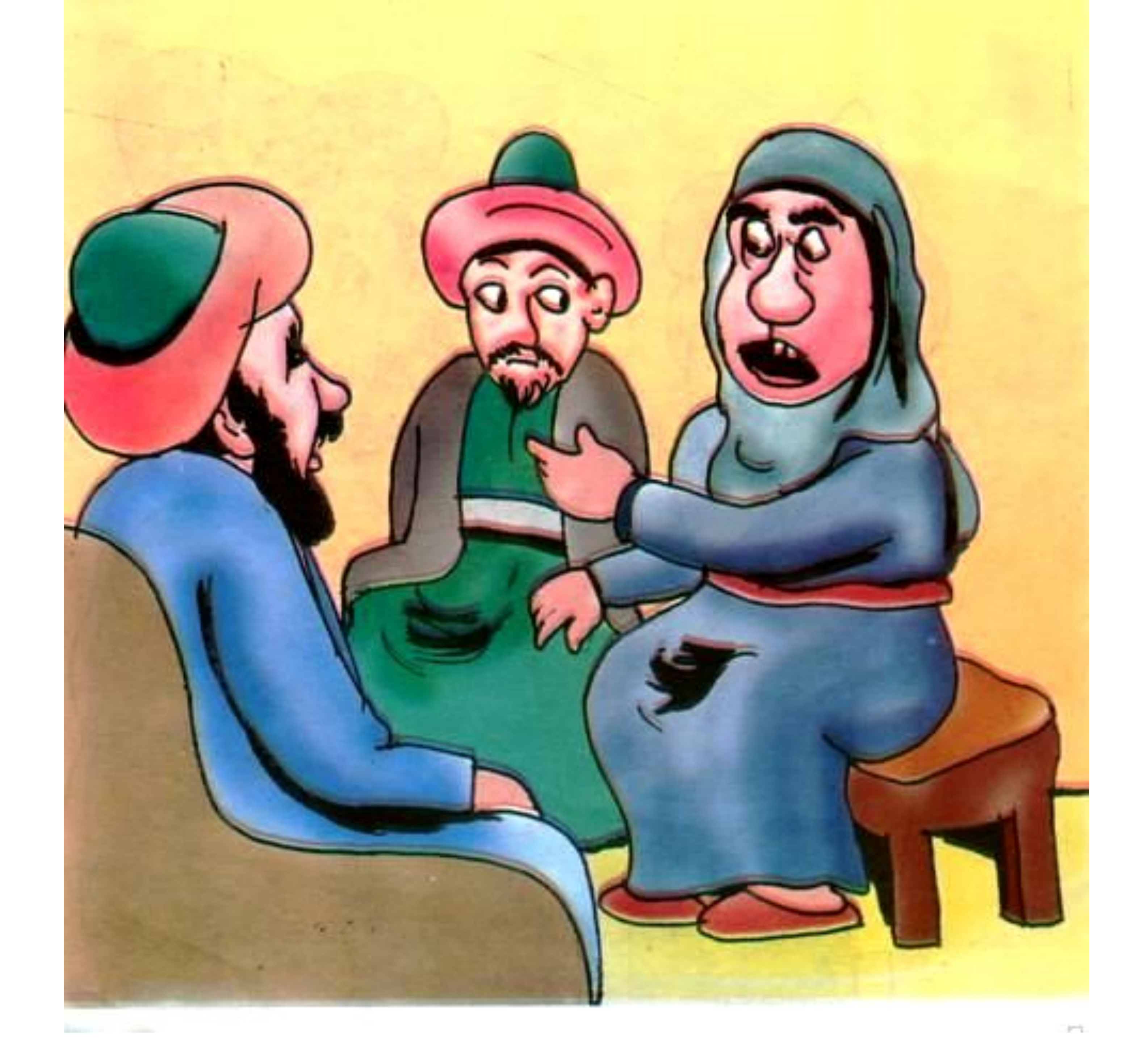
(١٠) فانصرَفتِ المَرأةَ ، ثـمَّ حَضـرت فى اليَـومِ المَوْعـود .
وحضرَ الخليفةُ المأمون ، وجلسَ للنَّظـرِ فـى مَظـالِمِ النّـاس ،
وحَولَهُ كبارُ رِجالِ الدَّولة ، وعُلماؤها ، وقاضى القُضاة . .
فلمّا رأى الخليفةُ المأمونُ المرأةَ استَدعاها .



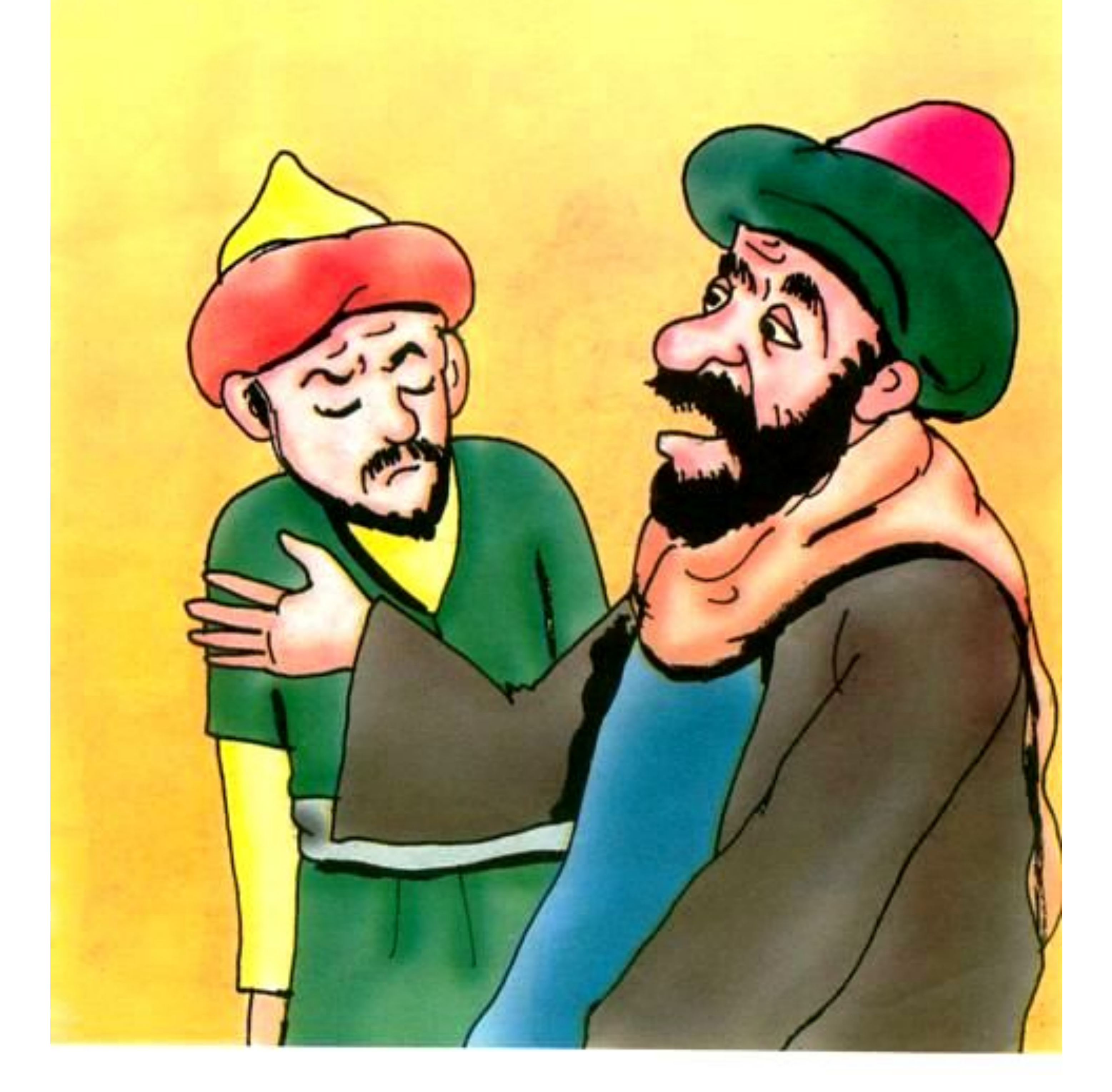
(١١) وسألَها : منْ خَصمُك ؟ أجابتْ : هو الواقِفُ بجانِبك ، العبّاسُ ابنُك . . ابنُ أميرِ المُؤمنين . فنظرَ الخَليفةُ المأمونُ إلى ابنِهِ العَبّاس ، ثم التَفتَ إلَى المرأة . وبعدَ لَحَظاتٍ من الصّمت ، التَفتَ الخَليفَةُ إلى قاضِي القُضاة ، وكلّفهُ بالنّظر في هذه القَضِيّة ، لأنّ أحدَ طَرفَيْها ابنُهُ العَبّاس ، ولا يَصِحُّ أن يَنظُرَ هو فيها .



(١٢) فنادَى القاضى علَى المرأة ، ونادى على العَبّاسِ ابنِ أميرِ المؤمنين ، وأجلَسَهما أمامَه . وذلك فى حَضرَةِ أميرِ المُؤمنين . . وأخذَ صَوتُها يَعلو وتَصيحُ فى وجهِ العَبّاس ، وهو ساكِتٌ لا يَتكلَّم .



(١٣) فتوجَّهَ أحدُ الحُجّابِ إلَى المرْأةِ وزجَرَهـا ، ونَبَّهَهـا إلى أنَّها فى حَضرَةِ الخَليفَةِ المأمون . . فناداهُ المأمون ، ونَهاه عن ذَلِك ، وقالَ له : دَعْها فإنَّ الحقَّ أنطقَها ، والباطِلَ أخرَسَه .



(١٤) ثمَّ أمَر بضَيعَتِها فرُدَّت إليهـا . . فعـادتْ وهِـى تُثنـى علىَ عَدلِ المَأمونِ وإنْصافِـه . ومـا قـامَ بـه الخَليفـةُ المأمونُ يا ابْنَتى هو تَنفيذٌ لأمْرِ اللَّهِ ـ سـبُحانَه وتَعـالى ـ فإن خالَفَه الخليفةُ الـمَأمونُ أو حابَى ابنَه ، كانَ من الظَّالِمين . . .



(١٥) وهَكذا أكونُ قد شرحتُ لكِ يا ابْنتى اسمَ الـمُقسِط ، قدرَ استِطاعَتى ، وأعطيتُ لكِ مَثَلا حسنًا لحاكِمٍ يخافُ اللّـه ، ويَعدِلُ بينَ النّاس . نهَضتْ حنانُ من مَقعَدِها ، وألقَتْ بنَفسِها على صَـدرِ أَبيهـا فـى سُـرور ، فضمَّهـا إليـه وقـال : لا مـانع عِندى أن تسأَلى عنَ أسْماءِ اللّهِ كما تَشائين ، وسوفَ أُجيبُك بإذْنِ اللّه .

